

الجرذ و السنور



يقدم : د. عبد الحميد عبد القادر
ترجمة : د. محمد الشافعي محمد
أشرف : د. محمد بن مصطفى



يحكى أنه لى مكان ما كانت توجد شجرة عظيمة ، هائلة الضخامة ..
 وأنه تحت هذه الشجرة كان يوجد حجرٌ سنورٌ يُطلق عليه اسم (رومي) .
 وأنه قريباً منه كان يوجد حجرٌ خردٌ يُطلق عليه اسم (فريدون) .
 وكانت بين (رومي) و (فريدون) عداوةٌ شديدة ، مُتدّية ، فلم يكن
 أحدهما يُحبُّ الآخر ، بل كان يأمل لى الخلاص منه .
 وكان هذا المكان مليئاً بالطيور والحيوانات ، فكان الصيادون يرتادونه
 كثيراً للصيد .



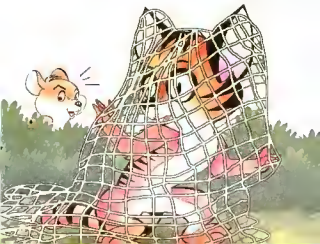
وذاث يوم قديم إلى هذا المكان صيادٌ ماهرٌ ، فنصب شبكته بالقرب من جحرٍ
(رومي) ، ثم ذهب لفصاء بعض حاجاته ، حتى يقع في الشبكة صيدٌ .

وسرعان ما خرج (رومي) من جحره ، فوقع في الشبكة ، ولم يستطع أن
يخرج منها .

وبعد قليل خرج (فريدون) من جحره ، باحثاً عن شيء يأكله ، وهو حذرٌ
كُلَّ الحذر من عدوه (رومي) .

ولحظة رأى الحردُ عريمه المسور داخل الشبكة ، فاستعشر بذلك خيراً ، وقال
في نفسه .

ـ قد خلصني الله من عدوى اللدود إلى الأبد . سرعان ما يأنى الصيادُ ،
ليأخذه ، ويسلح جلده .



وبينما الجرذ (فريدون) شارد في خواطره السعيدة هذه ، رأى بومة واقفة
 على غصن الشجرة ، فحاف منها ، والنبت خلفه ليهرب ، فرأى (ابن عرس)
 متربصاً به ومستعداً لاخطافه ، فحاف الجرذ وقال في نفسه :
 - إذا رجعت ورأيت احططني ابن عرس ، وإن تقدمت أمامي اسرقني السرور ،
 وإن ذهبت يميناً أو شمالاً احططني البومة .
 وهكذا وقف الجرذ المسكين متحبساً في أسرهِ ، وهو لا يدري ماذا يصنع ،
 وكيف يتصرف للخروج من هذه الورطة ، فقال في نفسه :



.. هذا بلاءٌ عظيمٌ قد أحاط ، وشروُرٌ كثيرةٌ قد تجمعت حولي ، ومنحنٌ كثيرةٌ قد ابتليتُ بها ، ولكن أحمد الله على أنه أعطانني عِفلاً ذكياً ، فلا يفرغني شيء ، ولا يفسدني الذميمةُ ، ولا يتمزقُ قلبي رغباً من هَوَلِ كُلِّ هذه المخاطر التي تحيطُ بي ، فإنعاضلُ هو الذي يحسنُ استخدام عِفله في مثل هذه المواقف الخطيرة ، ليخرج من المحنة سلاماً .

وبعد تفكيرٍ سريع ، قال الجرذُ في نفسه :

.. لستُ أرى لي مخرجاً من هذا البلاء إلا مصالحةُ السنور ، والاتفاق معه ، حتى وإن كان أعدى أعدائي ، لأنه قد نزل به من البلاء مثلُ ما قد نزل بي . . المهم أن تنتصت إلى كلامي ، وبتق أن لي بجانبي سحابةٌ ، فيوافق على معاونتي إياه



ونقدم الجرد من السنور ، فقال له :

- كيف حالك أيها العرم القديم ؟

فقال السنور في ضيق :

- في ضيقتي وضيق ، وأظن أن ذلك بسرُّك ..

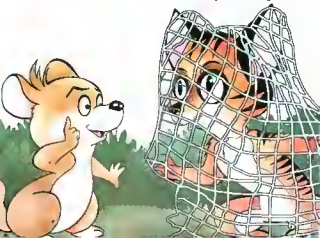
فقال الجرذ في لهجة صادقة :

- كيف أسرَّ بذلك ، وأنا الآن شريكك في البلاء ؟ لقد حثت إليك أعرض

عليك أن تسرك العداوة فلبلاً ، حتى ينحو كلانا من هذه الحنة .. وثق أنني

صادق في كلامي ، وأنه لا عاة لي إلا بخلاصك من هذه الشباك .. من الأفضل

أن تنحو معاً بدل أن يهلك معاً .



فقال السور :

ـ ما الذى يدرينى أنك صادق لى كلامك ، وأنها ليست خُدعة من خدعك ؟

فقال الجرذ بلهجة صادقة :

ـ إن امر عرس كاما لى من الخلف ، والبومة متربصة لى من فوق الشجرة ،
فإن أعطيتنى الأمان فرضتُ حال الشبكة ، وخلصتك من هذه الورطة .

فلما رأى السور امر عرس كاما من خلف الجرد ، والبومة متربصة له فوق
الشجرة ، أدرك صدق كلامه ، ورغته الحادة فى مساعدته ، فقال له :

ـ لقد تخففتُ من صدق كلامك ، أما أيضا راعبٌ فى الخلاص من هذه
الشبكة اللعينة ، فليسبد عداوتنا حانسا ، ولننعاخذ على أن يساعد كُلُّ منا
الآخر مصدق وإخلاص ، حتى نسحر من هذه المخذة .



فقال الجرذ :

- اتقنا .. سادس ملك الآن طالما أنك قد أعطيتني الأمان ، وأقرض حبال الشبكة كلها إلا حبلًا واحدًا أبقيه ، ولن أقرضه إلا في اللحظة المناسبة التي أختارها أنا .

فتعجب السنور وقال :

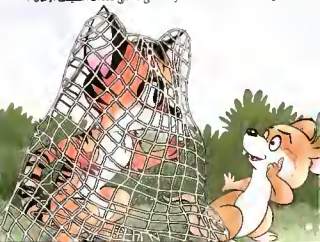
- ولم تترك هذا الحبل دون قرص ، وتلقيني أسيرا بسبه ؟!

فقال الجرذ

- هذا الحبل سوف أستبقيه ، حتى أستوثق لنفسى منك .

فقال السنور :

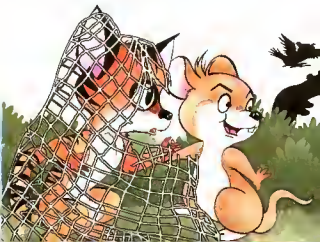
- آمنت وما تحب ، طالما أنك لست واتقاسى ، حتى بعد أن أعطيتك الأمان .



وبدا الجرذ بعمل في حمة ونشاطٍ على فرض حبال الشبكة . فلما رأى ابنُ عرس والسومة أن الجرذ بدأ في فرض حبال الشبكة ، بنس كل منهما من انصرالته ، وابعد كل منهما ؛ ليبحث عن صيدٍ آخر .

ولما رأى الجرذ أن الخطر قد زال ، أخذ ينكاسل في فرض حبال الشبكة . وأحسن السنور بذلك ، فقال له :

— ما لي أراك منكاسلاً عن فرض حبال الشبكة .. هل شعرت بالأمان لأن أعدائك قد رحلوا ، فلا تريد أن تنم العمل الذي عاهدتني عليه .. إن وعد الحُرّ دينٌ عليه ، والكرم لا ينصرف في حق صاحبه ، فلم يرُدّ عليه الجرذ بكلمة ،



واستمر السور مذكراً إياه بما اتفقا عليه فائلاً :

ـ لقد كان لك في سابقي موافقي من النفع والفائدة ما لا تُكره ، ولهذا فانت
مدين لي وبجب أن نخلصني من هذه الشبكة اللعينة .. لا تذكر العداوة التي
كانت بيني وبينك ، لأن الذي حدث بيننا من الصلح يجب أن يُنسبك ذلك .
وسكت السور فليلاً .. ثم استمر فائلاً :

ـ إذا كنت قد نوبت الغدر بي ، فإنني أذكرك أن عاقبة العدر وخيمة ، وأن
الكرام لا يكون إلا شكوراً غير حفود .. وإن أُسرغ عقوبتي هي عقوبة العدر ،
وإن من ينصرغ إليه الناس في الخنة ، ويسألونه العفر عند المفردة ، فلم يرحم
ولم يعف هو غادر .



فترككم الجرد أخيراً ، وقال بعد طول صمت :

.. إن الصديق نوعان .. صديق طائع محتار ، وصديق يكون بالاضطرار ،
وكلاهما يرجو النجاة ، ويحترس من المضرة . فأما الصديق الطائع الخنار ،
فهو الذي بأتمه المرة في جميع الأحوال .. وأما الصديق بالاضطرار كما هو
حالتي معك الآن ، فهي بعض الأحوال بأمن المرة إليه ، وفي بعض الأحوال ينخذ
جذره منه .. ولكن اطمئن فأنا مؤف لك بما قطعته على نفسي ، من تحليلك
من هذه الشبكة ، لكنني أيضاً محترس منك ، خشية أن يصيبني ما أخافني إلى
مصالحتك ، وأخالك أنت إلى قول الصلح مني .



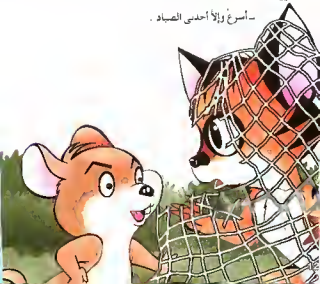
فقال السنور :

ـ هذا الوفاء منك بحسب لك في ميزان حسناتك .

وقال الجرذ :

ـ سوف أنصلي في عملي ، فاقطع الحبال كُلِّها ، إلا عقدة واحدة سوف أتركك مربوطاً فيها ، ولا أقطعها إلا في اللحظة التي أراك فيها مشغولاً ، حتى لا تقفز علي وتأخذني ، وذلك عندما أرى الصياد قادماً نحونا .
وعاد الجرذ بواصل عمله في فوضى حبال الشبكة ، حتى طهر الصياد ، فقال له السنور .

ـ أسرع وإلا أحدى الصياد .



فقال ثم الجرذ :

- اطعني .. لم نبق إلا آخر عقدة .

وفي اللحظة التي وصل فيها الصياد فرض الجرذ العقدة الأخيرة ، فلفز السور فوق الشجرة ، واخنيا الجرذ في جحره ، والصياد ينظر مذهلة وذهول إلى شبكته المعزقة .. ثم حملها ورحل .

وبعد قليل خرج الجرذ من وكرة ، وحاف أن يقشرب من السور ، فتأذاه السور قائلاً .

- أيتها الصديق الخالص الناصح ، لماذا لا نقشرب مني ، حتى

أحاربك خبراً على ما قدمت لي من معروف ١٧



لفضل الحرء فى مكانه محاذراً أن يفترق منه ، واستمر السنور قائلاً :

ـ نعال إلى با ألى ولا نلفطع رجائى ، لأن من انخذ صديقاً ولفطع رجاءه حرء
ثمرء إخوانه ، وبنس من منفعء الإخوان والأصدقاء لبعضهم .

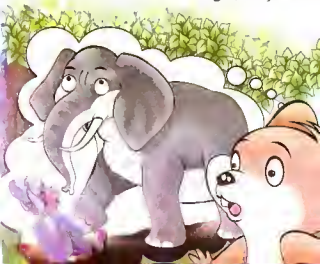
فضل الحرء واقفا فى مكانه محاذراً منه ، ولم ينطق بكلمة ، بينما راح
السنور بنفسه له بأعطى الأيمان بأنه صادق فى سؤءه له ، وأنه راعب فى
مكافأه على المعروف الذى فذمة إليه ، فقال الحرء :

ـ رب صداقة طاهرة ، لكها فعمل فى باطنها عداوة كامنة ، وهى أشء
خطرأ وصراً من العداوة الطاهرة . . ومن لم يحترس من مثل هذه الصداقة



يكون مثل الرجل الذي يركبُ باب القليل الشائِر ، ثم يغلبُه العَاص ،
فيسقطُ ليجد نفسه تحت أقدام القليل . هُدوسٌ عليه وبشئلته .. لقد سُمي
الصديقُ صديقاً لما يرحوه المرء من بقعه ، وسمي العدوُّ عدواً لما يخافه المرء من
صرره .. والعافلُ هو الذي إذا رجا بيع العدو أظهر له الصداقة ، وإذا حالف ظهر
الصديقُ أظهر له العداوة .. لقد زالت الآن صداقتنا ، فانركشي وشأني .
وعندما حاول السور أن يبيع الجوز بأنه صديق له ، وليس عدواً كما كان في الماضي ،
فقال له السور ، بعد أن بش منه :

.. أنت وما تحب با أحي ..



وقال له الجرذ :

— أنا الآن أحبُّ لك من الشاء والسلامة ، ما لم أكنَّ أحبه لك من قبل ، وكل ما أوجه منك أن تُعاملني بمثل ذلك .

فقال السور :

— وأنا أوجه لك ذلك .

وهكذا عاد كُلُّ من الجرذ والسور إلى حباتهما القديمة ، بعد أن جمعتَ
سبهما الصداقة في لحظات الخطر .

(تَمَّتْ)

رقم الإصدار : ١٩٨٧٢ / ٢ - ٢

الطبعة الأولى : ١٩٨٧ / ٢ - ٢

